

المراد بالحنيفية وبيان العلة في أمر الإنسان بعبادة

ربه

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. في هذا الصباح إن شاء الله نتكلم على الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها. فأولاً: معرفة الحنفية؛ الحنفية ملة إبراهيم هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين. جعلنا الله تعالى من الحنفاء المستقيمين، المتبعين لهذه الملة الحنفية، وقد وصف الله تعالى إبراهيم بذلك، قال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً فَانِّي لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} ثمَّ أوحينا إلينكَ أنَّ أَنْتَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا { فَكَرِرَ حَنِيفًا في هذه الآيات مرتين. وقد أمر الله تعالى بها العباد مطلقاً، فقال تعالى: {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} . فإذا قيل: ما المراد بالحنيف؟ متى يكون الإنسان حنيفاً؟ يقولون: الحنيف هو المُفْعِلُ على الله، المائِلُ عَمَّا سواه. الإقبال على الله بالقلب بالنسبة، والصدود عن غيره من المخلوقات. وبُعْرَفُه بعضهم الحنيف: المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد. الحنف هو الميل؛ فالحنيف هو المُفْعِلُ على الله المعرض عن كل ما سواه من المخلوقات. فهكذا أُمِرْتَ: {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} أن تعبدوا ربكم عبادة كاملة {مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} ؛ وذلك لأن هذه هي وظيفة الإنسان، إذا قيل: ما وظيفتك في هذه الحياة؟ ليس وظيفتك وظيفة الدنيا، بل الأصل أن وظيفة كل إنسان هي العبادة التي خلق الله لها الخلق، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} هكذا أخبر بأنه خلق الجن والإنس لهذه الوظيفة، وهي عبادته. ومعنى ذلك أن يُخلصوا له العبادة؛ فإن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، ومع الإخلاص، فَمَنْ عبدَ اللهَ وَعَبَدَ غيره؛ لم يكن من المخلصين؛ الله تعالى لا يرضى أن يُشتركَ معه في عبادته أحد لا ملك مقرب، ولا نبي مرسلاً، فضلاً عن غيرهما.